

أندري دي ريبير بين ترجمة القرآن وقرآن الترجمة

أ. الساسي بن محمد ضيفاي
جامعة القيروان تونس

Abstract:

It seems that the efforts of translators and subject matter experts and scientists in order to overcome all difficulties and transform the Quranic text of language institution to midwife language along the lines of the French language still require review and scrutiny of scientific rigor and act as a human.

Keywords:

Orientalist -translation- language- religion- scientific rigor

المختصون والعلماء في سبيل تذليل كل الصعوبات وتحويل النصّ القرآني من لغته المؤسسة إلى اللغة القابلة على غرار اللغة الفرنسية مازالت تتطلب المراجعة والتدقيق والصرامة العلمية باعتبارها عملا بشريا. ولئن كان هذا الأمر محمودا فوجب أن لا يحجب عنا النقائص والسلبيات، ولا يمنعنا من مناقشة بعض القضايا واقتراح بعض المقاربات منهجا ومتنا. وبحثنا يتنزل في هذا السياق، فقد ارتأينا أن ننظر في أول محاولة فعلية لترجمة القرآن الكريم باللغة الفرنسية سنة 1647م على يد "أندري دي ريبير"¹ (1580-1660م) (Andre Du Ryer).

ومما حقّنا على النظر في هذه الترجمة أسبقيتها التاريخية، يضاف إلى ذلك انتشارها في الأوساط الغربية والعربية والإسلامية والتركية حيث أعيد طبعها مرات عدّة، بل كانت هذه المحاولة في ترجمة معاني النصّ القرآني منطلقا ومنعطفًا مهمًا في ترجمة القرآن إلى مختلف اللغات الأوروبية الأخرى خاصة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وقد كانت ترجمة أندري دي ريبير هذه كانت أول ترجمة إلى اللغة الإنجليزية (The Alcoran of Mohamet) بواسطة "ألكسندر روس" (Alexander Ross) عام 1649م، وإلى الهولندية (Mahomets Alcoran) بواسطة "جلاز ماخر" (Glazemaker) سنة 1657م، وإلى الألمانية (Alcoranus Mahometicus) بفضل ترجمة "لانج" (Johann Lange) سنة 1688، وهو ما

حدا بالباحثة "أفنان فطاني" (Afnan Fatani) إلى القول بأنّ الترجمة الفرنسية القديمة جدّا هي ترجمة أندري دي ريبير².

وبناء عليه فإننا نروم في هذه الدراسة الرجوع إلى لحظة تأسيسية بالغة الأهمية في تاريخ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية وما اتصل بهذه الترجمة من مشكلات وإكراهات وصعوبات، ولا نناقش في بحثنا إجازة ترجمة النصّ القرآني من عدمه، بل نهدف إلى النظر في ترجمة "أندريه دي ريبير" منبها ومتنا وفهما مقاصديا وتقييما لهذه الترجمة وتقديمها للبديل المقترح، والتنبيه إلى مواطن القصور والنقص والحذف والزيادة من دون انحياز أو منافحة أو تشدد. وهو ما سنعمل على تحليله في تضاعيف هذا البحث تباعا.

1- سؤال المنهج

لئن كانت الترجمة قناة تواصل بين الشعوب، وهمزة وصل ثقافية وفكرية، ولازمة حضارية بين الشعوب والأمم، فإنّ هذا لا يعني أن نتهاون في نقل النصّ من لغة إلى أخرى، أو نسلم بأنّ هذه الترجمة خالية من النقائص والمزالق والعيوب فتصبح كأنها من المسلّمات، تعلو على النقد والمراجعة والتجريح، ناهيك أنّ الترجمة ترجمات وهي محاولة لمحاكاة النصّ الأصلي، وهي نصوص على نصّ وأقوال على قول وكلام على الكلام، وهذا ما يجعلها أحيانا معولا للهدم عوضا عن أداة للبناء. وبناء على هذا المعطى المتمثّل في أنّ كلّ ترجمة هي نصّ منفتح على عديد القراءات والمراجعات والنقود، رأينا أن نقف على نموذج من هذه الترجمات وهي ترجمة أندري دي ريبير للقرآن، وارتأينا أن نتناول هذه الترجمة من حيث المنهج والمتن، أمّا المنهج فهو موصول بعدد السور وطريقة ترتيبها وعدد الآيات والمكي والمدني، أمّا بالنسبة إلى المتن فإنّ الأمر يتعلّق بمباحث المفاهيم والحذف والزيادة والتحريف والعتبات ونحو ذلك من القضايا.

1- عدد السور وترتيبها

بدت السور مرتبة وفق التسلسل الذي ورد طيّ المصحف العثماني، بداية من سورة الفاتحة وانتهاء بسورة الناس، هذا الوفاء للنصّ القرآني المؤسس من حيث عدد سورته (114 سورة) واحترام ترتيبها يُحسب لدي ريبير (1580-1660م)، خاصة إذا قدّرنا أسبقيته التاريخية في ترجمة النصّ القرآني، وفي الاهتمام بهذه الترجمة نشرها ومراجعة وتصحيحها³، ممّا يدلّ على أنّه كان بذلك أمينا على الأقلّ في

هذا الجانب، محافظا على ما يجب أن يحافظ عليه علميا ومنهجيا، فكانت ترجمته وفيه نسبيا لروح النصّ القرآني ومعايير الترجمة الحقّ.

والجدير بالذكر أنّ هذا الثبات في عدد السور وترتيبها خاصة، لم يتوفر للكثير من المترجمين الآخرين الذين جاؤوا بعده بقرون على غرار المستشرق الألماني تيودور نولدكه (Theodor Nöldeke) (1836-1930م) الذي اقترح تصنيفا تاريخيا للسور⁴، فخالف بذلك ما ثبت على الأقلّ في المصحف وما كان متداولاً في الرواية وما كان متدارساً في مباحث علوم القرآن، وبهذا التصنيف الزمني حاد عن الأصول الأولية في الترتيب -وإن وقع الاختلاف حولها بين الأوائل⁵- وقد ظهر ذلك جليا في كتابه "تاريخ القرآن" الذي عالج فيه بصفة مخصوصة إشكالية تاريخية السور فتوخى منهجا تحقيقي موصولا بحقبة مكة، ثم حقبة المدينة وفصل هذه الحقبة وفق أسلوب السور ومعانيها ومعجمها ومضامينها. وكذا الأمر نفسه تقريبا نجده عند المستشرق الفرنسي بلاشير (Blachère) (1900-1973م)⁶ الذي حذا حذو نولدكه، بيد أنّه بقي مترددا مضطربا في الترتيب الزمني الذي اعتمده في بدايات ترجمته، ثم تلافي ذلك وتجاوزه بالرجوع إلى ترتيب المصحف، علما أنّ المصحف لا يقوم على أيّ ترتيب تاريخي، إذ تختلط السور المكية وعددها (تسعون) والسور المدنية وعددها (أربع وعشرون) وحسب بعض المرويات فإنّ هذا الترتيب توقيفي، وهي سور يعزو ترتيبها المصحفي إلى هذا الحدث أو ذاك، أو ما يعبر عنه في مباحث علوم القرآن بأسباب النزول. والذي نستخلصه في هذا الجانب على الأقل من حيث عدد السور وطريقة ترتيبها في ترجمة المستشرق الفرنسي أندري دي ريبير، أنّه ألزم منهجيا وشكليا بترتيب أغلب المسلمين للسور القرآنية وفق المصحف العثماني، خلافا للترتيب الزمني الذي لم يحظ بقبول العلماء المسلمين.

2- أسماؤها

رغم ما أشرنا إليه من أهمية هذه الترجمة باعتبارها من أقدم الترجمات، ورغم أنّ دي ريبير حافظ على ترتيب السور وعددها، فإنّ الأخطاء الواردة في ثناياها كثيرة جدّا من ذلك ما أدرجه المترجم من تسميات وترجمات لأسماء السور، إذ لمسنا انحرافا علميا وآراء مغرضة في هذا الجانب إلى حدّ إزاحة أسماء السور الحقيقية ونشر ترجمات مضللة تناقض المتداول والمتواتر. ولعلّ أوّل ما شدّ انتباهنا أنّ دي ريبير لا يعترف إطلاقا بكلمة "سورة" بل جعل مرادفها "فصل" من أوّل ترجمته إلى آخرها إذ يسم سورة الفاتحة مثلا بـ (Le chapitre de la préface) وعلى هذا النحو ترد

كلّ أسماء السور القرآنية ممّا يدلّ على أنّ توزيعه لا يقوم على السور بقدر ما ينهض على الأبواب والفصول، وكان الأجدر به عوضاً أن يجعل مصطلح (Le chapitre) أن يدرج المفهوم المتداول كما جرى العرف على كتابته وهو أقرب شكل من النطق العربي (سورة) (Soura)، رغم أنّ البعض من الترجمات تذهب إلى كتابتها على شكل ثان (Sourate)، ونعتقد أنّ هذا الأمر في اعتماد كلمة (Soura) (سورة) هو إحالة على بدايات الإسلام وعلى ما تواتر في حقول علوم القرآن، وما دأب عليه علماء الإسلام، وما وصل إلينا من روايات تدلّ على أنّ الدارج هو كلمة سورة.

يضاف إلى ذلك أنّ بعض أسماء السور التي أطلقها المترجم كانت أسماء محرّفة في تقديرنا من الفاتحة إلى سورة الناس دون استثناء، وسننزل هذه الأسماء لاحقاً التي وسم بها دي ريبير سور القرآن فسَمّى الفاتحة بـ (La préface) (المقدمة) بدلاً من الالتزام باسمها مثلما ورد في المصحف (Al-Fatiha) أو على الأقلّ ترجمة تكون قريبة في معناها على غرار ما ذهبت إليه أغلب الترجمات الفرنسية (Prologue ou ouverture)، لأنّ كلمة (La préface) لا تحيل على أيّ اسم من الأسماء التي سُمّيت بها الفاتحة مثل أمّ الكتاب، والحمد، وأمّ القرآن، والشفافية ونحو ذلك من الأسماء التي أطلقت عليها، ثمّ إنّ اليون بائن بين المقدمة (Préface) والفاتحة (Prologue) مثلاً، ونحن نذهب إلى أنّ ترجمة أسماء هذه السور تكون ترجمة حرفية تحاكي اسم السورة ذاتها مثلما جاء اسمها في القرآن، وقد تتبّعنا أسماء هذه السور في ترجمة عدد من المستشرقين وارتأينا أن يكونوا من الفرنسيين تماشياً مع محور هذا الملتقى على غرار ترجمة أندري دي ريبير (André Du Ryer) (1580-1660م) وترجمة إدوارد مونتيه (Édouard Montet) (1856-1934م) وترجمة ريجي بلاشير (Régis Blachère) (1900-1973م) وترجمة جاك بيرك (Jacques Berque) (1910-1995م)، ولعلّ هذا الجدول سيبيّن لنا عديد المضامين والمفاهيم التي تنير دربنا في هذه الإشكالية، وإليك أسماء السور كما نعتما أندريه دي ريبير في ترجمته مقارنة ببعض الترجمات الأخرى.

السورة ⁷	Du Ryer ⁸	Montet ⁹	Blachère ¹⁰	Berque ¹¹	المقترح
الفاتحة	La préface	Introduction	La liminaire	Ouverture	Prologue
البقرة	La vache		La Génisse	La vache	La vache
آل عمران	La lignée de Loachim		La famille de Imran	La famille de Imran	La famille de Imran
النساء	Les femmes		Les femmes	Les femmes	Les femmes
المائدة	La table	La table	La table servie	La table pourvue	Le festin

			servie		
Al-Annam	Les troupeaux	Les troupeaux		Des gratifications	الأنعام
Al-A'raf	Les Redans	Les A'raf		Limbes	الأعراف
Le butin	Le butin	Le butin		Le butin	الأنفال
Le Repentir	Le Repentir ou la dénonciation	Revenir de l'erreur ou l'immunité	Repentir	La conversion	التوبة
Jonas	Jonas	Jonas		Jonas	يونس
Hûd	Hûd	Houd		Hod	هود
Joseph	Joseph	Joseph	Joseph	Joseph	يوسف
Le tonnerre	Le tonnerre	Le tonnerre		Le tonnerre	الرعد
Abraham	Abraham	Abraham		Abraham	إبراهيم
Al-Hijr	Al-Hijr	Al-Hijr		Hegir	الحجر
Les Abeilles	Les Abeilles	Les Abeilles		La mouche à miel	النحل
Al-Isra	Le trajet nocturne ou Les fils d'Israël	Le voyage nocturne ou les fils d'Israël		Voyage de nuit	الإسراء
La caverne	La caverne	La caverne		La caverne	الكهف
Marie	Marie	Marie	Marie	Marie	مريم
Tahaa	Taha	Tâ-hâ		La béatitude de l'enfer	طه
es prophètes	Les prophètes	Les prophètes		Les prophètes	الأنبياء
e pèlerinage	Le pèlerinage	Le pèlerinage		Le pèlerinage	الحج
Les croyants	Les croyants	Les croyants		Les vraicroyans	المؤمنون
La lumière	La lumière	La lumière		La lumière	النور
Le discernement	Le critère	La salvation		L'Alcoran	الفرقان
Les poètes	Les poètes	Les poètes		Les poètes	الشعراء
Les fourmis	Les fourmis	Les fourmis		La fourmi	النمل
Le récit	La narration	Le récit		L'histoire	القصص
L'araignée	L'araignée	L'araignée		L'araignée	العنكبوت
Les byzantins	Rome	Les Romains		Les Grecs	الروم
Lokman	Loqmân	Loqman		Locman	لقمان

Laprosternation	La prostration	La prostration		L'adoration	المسجدة
Les coalisés	Les coalisés	Les factions		Les bandes troupes des gens de guerre	الأحزاب
Saba	Saba	Les sabâ		Saba	سبأ
Le créateur	Créateur intégral ou les ange	Le créateur ou les anges		Le créateur	فاطر
Yâ-Sîn	Yâ-Sîn	Yâ-Sîn		Intitule o homme	يس
Les rangs	En rangs	Celles qui sont en rangs		Des ordres	الصفافات
Saad	Çad	Sâd		La vérité	ص
Les groupes	Par vagues	Les groupes		Les troupes	الزمر
Le par donneur	Le croyant ou L'indulgent	Le croyant		Le vrai croyant	غافر
Fusillât	Ils s'articulent	Elles ont été rendues intelligibles		L'explication	فصّلت
La ce concertation	La concertation	La délibération		Le conseil	الشورى
L'ornement	Les enjolivures	Les ornements		L'ornement	الزخرف
La fumée	La fumée	La fumée		La fumée	الدخان
L'agenouillé e	Assise sur les talons	L'agenouillée		La génuflexion	الجائنة
Al-Ahqâf	Al-Ahqâf	Al-Ahqâf		He caf	الأحقاف
Muhammad	Muhammad	Mahomet		Combat	محمّد
Al-Fath	Tous s'ouvre	Le succès		La converse	الفتح
Al-Hu jurat	Les appartements	Les appartements		Les clôtures	الحجرات
Qâf	Qâf	Qâf		La chose jugée	ق
Ad-Drayât	Vanner	Celles qui vont		Les choses dispersées	الذاريات
At.-Thur	Le mont	La montagne		La montagne	الطور
L'étoile	L'étoile	L'étoile		L'étoile	النجم
La lune	La lune	La lune		La lune	القمر
Le clément	Le tout miséricorde	Le bienfaiteur		Miséricordieux	الرحمان
L'inévitable	L'échéante	L'échéante	L'événement inévitable	Jugement	الواقعة

Le fer	Le fer	Le fer		Le fer	الحديد
Al-Mujadalah	La protestataire	La discussion		La dispute	المجادلة
L'exode	Le regroupement	Le rassemblement		L'exil	الحشر
Al Mumtahana h	L'examinante	L'examinée	L'épreuve	L'épreuve	المتحنة
Le rang	En ligne	Le rang		Le rang	الصف
Le vendredi	Le vendredi	Le vendredi		L'assemblée	الجمعة
Les hypocrites	Les hypocrites	Les hypocrites		Les impies	المنافقون
La dupiez mutuelle	Alternance dans la lésion	La mutuelle du périe		La tromperie	التغابن
Divorce	La répudiation	La répudiation		Divorce	الطلاق
L'interdictio n	L'interdiction	Déclarer illicite		La défense	التحريم
La Royauté	La Royauté	La Royauté		L'empire	المُلْك
Le calame	Le calame	Le calame		La plume	القلم
L'inéluctable	L'inéluctable	Celle qui doit venir	L'inévitable	La vérification	الحاقة
Al-Maarij	Les paliers	Les degrés		La montée	المعارج
Noé	Noé	Noé		Noé	نوح
Les djinns	Les djinns	Les djinns		Démons	الجن
Al-Mouzzamil	L'emmitouflé	Celui qui c'est enveloppé	L'homme qui se couvre	Timide	المزمل
Al-Mouddattir	Il s'est couvert d'une cape	Celui qui couvert d'un manteau		L'enveloppe	المدثر
La résurrection	La résurrection	La résurrection		La résurrection	القيامة
L'homme	L'homme	L'homme		L'homme	الإنسان
Les envoyées	L'envoi	Celles qui sont envoyées		Les envoyiez	المرسلات
L'évènement	L'annonce	L'annonce	La nouvelle	La nouvelle	النبأ
An-Naziate	tirer	Celles qui tirent		Ceux qui arrachent	النازعات
Abasa	L'air sévère	Il s'est renfrogné	Il a froncé le sourcil	L'aveugle	عيس

L'obscurissement	Le Reploiement	L'obscurissement	L'enroulement	La rondeur	التكوير
Le bris	Se fendre	Quand le ciel s'ouvrira	La rupture du ciel	L'ouverture du ciel	الانفطار
Les fraudeurs	Les escamoteurs	Les fraudeurs		Ceux qui pèsent à faux poids	المطففين
La déchirure	La fissuration	La déchirure		La fente	الانشقاق
Al-Bouroj	Les châteaux	Les constellations	Des signes du zodiaque	Les signes célestes	البروج
At.-Taraq	L'arrivant du soir	L'astre nocturne		L'étoile ou de la tramontane	الطارق
Le très haut	Le très haut	Le très haut	Très haut	Haut et puissant	الأعلى
L'envahissante	L'occultant	Celle qui couvre		La couverture	الغاشية
L'aube	L'aube	L'aube		L'aurore	الفجر
La cité	La ville	La ville		La ville	البلد
Le soleil	Le soleil	Le soleil	Le soleil	Le soleil	الشمس
La nuit	La nuit	La nuit	La nuit	La nuit	الليل
Le jour montant	L'éclat du jour	Le clarté diurne		Le soleil levé	الضحى
L'épanouissement	L'épanouissement	N'avons-nous point ouvert		La foie	البشرح
Les figues	La figue	Le mont des figuiers		La figue	التين
L'adhérence	L'accrochement	L'adhérence	Sang Coagulé	Sang congelé	العلق
La destinée	Grandeur	La destinée		La gloire ou puissance	القدر
La preuve	La preuve	La preuve		L'instruction	البينة
Le séisme	Le secouement	Le séisme	Tremblement de terre	Tremblement de terre	الزلزلة
Les coursiers	Galoper	Celles qui galopent	Des chevaux de bataille	Les chevaux	العاديات
Al-Qariah	La fracassante	Celles qui fracasse	Jour de malheur	L'affliction	القارعة
La surenchère	Rivaliser par le nombre	La rivalité		L'abondance	التكاثر
Le temps	Le temps	Le destin		Vesprée	العصر
Le	Le détracteur	Le calomnieur		La persécution	الهمزة

diffamateur					
L'éléphant	L'éléphant	L'éléphant		Des éléphants	الفيل
Quraysh	Quraysh	Les qoraïch		Coreis	قريش
L'ustensile	L'aide	L'aide		La loi	الماعون
L'abondance	L'affluence	L'abondance		L'affluence	الكوثر
Les mécréants	Les dénégateurs	Les infidèles		Des infidèles	الكاغرون
Le secours	Le secours victorieux	Le secours victorieux		La protection	النصر
La corde	La fibre	La corde		La corde de palmier	المسد
La foie pure	La religion foncière	Le culte	Culte pur	Salut	الإخلاص
Le point du jour	Le point du jour	L'aurore		La séparation	العلق
Les humains	Les hommes	Les hommes		Peuple	الناس

من خلال تتبعنا لهذا الجدول المقارن نستشف على الأقل ثلاث نقاط مهمة، سنعمل على دراستها تباعا.

أولاً، أن دي ريبير ترجم بعض أسماء السور ترجمة لا تنسجم والمعنى الأصلي لاسم السورة وفق ما ورد في المصحف العثماني، فكانت ترجمة محرفة وبعيدة كل البعد عن المعنى المراد على غرار ترجمة الفاتحة (La préface) والنحل (La mouche à miel) وسورة طه (La béatitude de l'enfer) ولم نفهم هذه العلاقة بين الجحيم والنعيم في اختيار هذا المصطلح، والقصص ب (L'histoire) والفرق واضح بين القصص والتاريخ. والروم ب (Les Grecs) والمعنى يحيل على الاغريق، والصفات ب (Des ordres). أي الأوامر، والشورى (Le conseil) أي المجلس، وسورة محمد ب (Combat) ولا نعرف ما ذا يقصد أندري دي ريبير بهذه الترجمة بين اسم العلم (Muhammad) ودلالة الشجار أو المعركة، والمزمل ب (Timide) أي الخجول، وسورة المسد (La corde de palmier) أي حبل النخيل، والإخلاص (Salut) أي الخلاص، وقس على هذه الأمثلة التي لا تحيل على المعنى الدقيق لاسم السورة، مما يوقع القارئ في متاهات وتصورات خاطئة لا تمت بصلة إلى قصيدة الشارح.

ثانياً، توفى أندري دي ريبير إلى حدّ ما في أسماء بعض السور باللغة الفرنسية الصرفة، فكانت ترجمته قريبة من روح النصّ القرآني ومن بعض الترجمات التي تتالت بعده بقرون على غرار البقرة (La vache) والنساء (Les femmes) والأنفال (Le butin) والرعد (La tonnerre) والكهف (La caverne) والحج (Le pèlerinage) والنور (La lumière) والشعراء (Les poètes) والنمل (Les fourmis) والعنكبوت (L'araignée) والدخان (La fumée) والنجم (L'étoile) والقمر (La lune) والحديد (Le fer) والقيامة (La résurrection) والإنسان (L'homme) والشمس (Le soleil) والليل (La nuit)، ولعلّ معنى هذه الكلمات واضح ويّين إلى درجة أن الخلاف يستحيل وقوعه في ترجمتها، وبناء على ذلك لا نجد اختلافاً جلياً بين المترجمين في ترجمة أسماء هذه السور ونقلها من لغتها الأصلية إلى لغة أجنبية على غرار اللغة الفرنسية.

ثالثاً، نعتقد أن هناك بعض أسماء السور التي إذا ترجمناها وقعنا في تحريف مهمما اجتهدنا في هذه الترجمة، ومهما حاولنا أن نلتزم بالمعنى المراد من هذه الأسماء، لذلك من الأفضل أن تكون ترجمتها ترجمة صوتية تتساق ومخارج الحروف لهذه الكلمة، ولعلّ أندري دي ريبير انتبه إلى ذلك فحافظ على هذه التسميات كما وردت في المصحف منها، يونس (Ionas) وهود (Hod) ويوسف (Joseph) وإبراهيم (Abraham) والحجر (Hegir) ومريم (Marie) ولقمان (Locman) وسبأ (Saba) والأحقاف (He caf) ونوح (Noé) وقريش (Coreis).

بيد أنّه لم ينج من مزالق في هذا الصنف من أسماء بعض السور، فترجمها ترجمة ركيكة تجانب الصواب على غرار ترجمة الأنعام ب (Des gratifications). أي المكافآت ولعلّ الأسلم أن نكتّمها (Al-Annam) وص (La vérité) والأصح أن نقول (Sad) وفُصِّلَت ب (L'explication) أي الشرح أو التفسير، ولعلّ تثبيتها وفق نطقها (Fusillât) أفضل بكثير من الوقوع في هذا الخلط، والطور (La montagne) أي الجبل، فالأفضل أن تكتب (At.-Tur)، وترجم المجادلة ب (La dispute) أي النزاع، والفرق بين المجادلة والخصام أو النزاع واضح لذلك نكتّمها (Al-Mujadalah) أفضل من هذا اللبس الحاصل جراء هذه الترجمة الرديئة، وعبس (L'aveugle) أي البصير أو الكفيف لعلّ كتابتها وفق مخارج حروفها أفضل (Abasa)، وقس على ذلك عديد الأسماء التي إذا ترجمناها وفق نطقها يكون الأمر أفضل بكثير من ترجمة ليست وفيّة لروح النصّ ومعنى اسم السورة.

3- الآيات بين الوصل والفصل:

الأصل في النصّ القرآني هو نصّ متميز وفريد في نسجه وبنيته وإيقاعه وإعجازه ولغته وأسلوبه، تتواصل فيه الآيات وتتوازى الجمل في تركيبها وما ينطوي عليه هذا التركيب من تنغيم وإيقاع موسيقي، تقترب من الشعر وما هي بشعر، فكلّ تلك الأمور تتبدى للباحث في النصّ القرآني بيد أنها غائبة تماما أو مغيبة في ترجمة أندري دي ريبير، إذ وقفنا على بعض العيوب الموصولة بتقسيم الآية الواحدة الطويلة مثلا إلى آيتين أو إلى عدّة آيات، أو اختزال آيات أخرى ودمجها في آية واحدة، يضاف إلى ذلك خلو الآيات مطلقا من أرقامها، فكان بهذا الإجراء مخالفا لما دأب عليه العلماء والمترجمون، وهذا التمشي يحيل على التمرد على النصّ والفوضى وعدم الصرامة العلمية والالتزام بمقامات الكلام ومقتضيات الأحوال وخصوصيات التنقيط وفصائل الإيقاع والتنغيم، وهو ما يفضي إلى الوصل بدل الفصل أو الفصل عوضا عن الوصل، ولعلّ هذا ما أوقع أندري دي ريبير في أخطاء فادحة تتعلق بعدد الآيات في السور القرآنية ومثال ذلك عدّ آيات:

- البقرة: 287 آية عوضا عن 286 آية (+1 آية).
- النساء: 170 آية بدلا من 176 آية (-6 آيات).
- الأنعام: 175 آية عوضا عن 165 آية (+10 آيات).
- الأعراف: 106 آية عوضا عن 206 آية (-100 آية).
- التوبة: 127 آية بدلا من 129 آية (-2 آية).
- يوسف: 113 آية عوضا عن 111 آية (+2 آية).
- إبراهيم: 50 آية بدلا من 52 آية (-2 آية).
- الحجر: 77 آية عوضا عن 99 آية (-22 آية).
- الحج: 77 آية عوضا عن 78 آية (-1 آية).
- النور: 74 آية بدلا من 64 آية (+10 آية).
- السجدة: 130 آية بدلا من 30 آية (+100 آية).
- الأحزاب: 87 آية عوضا عن 73 آية (+14 آية).
- يس: 88 آية والصحيح أنها 83 آية (+5 آية).
- الصافات: 80 آية والصحيح أنها 182 آية (-102 آية).
- الجاثية: 59 آية والصحيح أنها 37 آية (+22 آية).

- محمد: 88 آية عوضا عن 38 آية (+50 آية).
- الطور: 39 آية بدلا من 49 آية (-10 آية).
- النجم: 60 آية عوضا عن 62 آية (-2 آية).
- الرحمان: 18 آية عوضا عن 78 آية (-60 آية).
- الواقعة: 99 آية بدلا من 96 آية (+3 آيات).
- المتحنة: 18 آية والصحيح أنها 13 آية (+5 آيات).
- الطلاق: 18 آية والصحيح أنها 12 آية (+6 آيات).
- المدثر: 57 آية بدلا من 56 آية (+1 آية).
- الإنسان: 30 آية عوضا عن 31 آية (-1 آية).
- الانفطار: 17 آية والصحيح أنها 19 آية (-2 آية).
- البروج: 20 آية والصحيح أنها 22 آية (-2 آيات).
- الأعلى: 17 آية عوضا عن 19 آية (-2 آية).
- الليل: 20 آية والصحيح أنها 21 آية (-1 آية).
- الضحى: 10 آيات عوضا عن 11 آية (-1 آية).
- العلق: 17 آية والصحيح أنها 19 آية (-2 آيات).
- الهمزة: 7 آيات والصحيح أنها 9 آيات (-2 آيات).
- النصر: 4 آيات والصحيح أنها 3 آيات (+1 آية).
- المسد: 11 آية والصحيح أنها 5 آيات (+6 آيات).

بناء على هذا المنهج الإحصائي، نستخلص أن أندري دي ريبير أخطأ في عدد أكثر من ربع القرآن أي قرابة (33 سورة) فأضاف (236 آية) وأنقص (320 آية)، لكن يجب أن نشير إلى أن هذه الإضافات، وهذا الحذف، هما موصولان باجتهد المترجم في تقسيم بنية النص القرآني دون التزام بالوقوف عند رؤوس الآيات مما جعله يتورط منهجا ومتنا .

4-المكي والمدني:

كشفت ترجمة أندري دي ريبير عن الكثير من المزالق والأخطاء وعدم الأمانة العلمية دالا ومدلولا، ويكفي مراجعة ما ذكرنا من ملاحظات سابقة متعلقة بالجانب المنهجي لندرك عمق الهاوية التي سقط

فيما المستشرق الفرنسي أندري، ولمزيد التوسع في هذا الجانب حاولنا أن نقف على إشكالية المكّي والمدني، ويبدو أنّ رسم الكلمات في حدّ ذاته يعد إشكالا وصعوبة في اللغة والرسم، فما كُتب في مكّة يُطلق عليه (écrit à la Mecque) وما كُتب في المدينة وسمه بـ (écrit à la Médine) ونعتقد أنّ الأمانة العلمية تقتضي أن يرسم هذه المفاهيم على النحو التالي (Makka) بدلا من (Meque) (مك)، و (Al-Madani) و (Al-Makki) هذا على مستوى التسمية، أمّا الزلل الثاني فيتمثل في الخلط بين المكّي والمدني، فما كان مكّيّا أصبح مدنيا وما كان مدنيا أضحي مكّيّا، على غرار السور التالية التي وردت وفق المصحف العثماني هي مدنية لكن دي ريبير اعتبرها مكّية مثل البقرة والرعد والحجّ ومحمد والممتحنة والصف والتغابن والطلاق والإنسان والنصر، أمّا السور التي جاءت مكّية فقد أدرجها على أساس أنّها مدنيّة مثل سورتي الأنعام والواقعة، في حين اعتبر سورة العاديات مكّية ومدنية في الآن ذاته، وبتتبع هذا الجرد نقف على (13 سورة) طرأ عليه التحريف في مكان نزولها.

والجدير بالذكر أن مبحث المكّي والمدني من المباحث المفصلية في علوم القرآن، خاض فيها كثير من القدامى والمحدثين على غرار المستشرق الألماني نولدكه الذي يرى أنّ الترتيب التاريخي أو الزمني أو المكاني الدقيق غير جائز ومستحيل نظرا إلى تباين الروايات إلى حدّ التناقض، ويذهب في تقسيمه إلى أنّ السور المكّية هي على ثلاث مراحل: سور الفترة الأولى وأسلوبها الذي يحيل على قوة حماس النبيّ واندفاعه في الدعوة، ويلحق بهذه المرحلة قصار السور. أمّا سور الفترة الثانية فهي لا تختلف كثيرا عن المرحلة المكّية الأولى وهي تشبه كذلك سور الفترة الثالثة، لكن الذي يمكن أن نلاحظه في هذه السور هو الانتقال من الحماس العظيم إلى أكبر قدر من السكينة المتأخرة التي يغلب عليها أسلوبها الطابع النثري. ويختم نولدكه بسور الفترة الثالثة المكّية وهي خلاصة ما تكون خاصة في الفترة الثانية تدريجيا من أسلوب ولغة ومعالجة للمواضيع، إذ يبرز في الفترة الثالثة بشكله النهائي. وإذا قسّم نولدكه المرحلة المكّية إلى ثلاث فترات، فإنّه يرى أنّ السور المدنية هي عبارة عن مرحلة تاريخية واحدة تحيل على التشريع وتناول بعض الوصايا والأوامر، خاصة ما كان موصولا بالأجواء الدينية الجديدة من يهودية ونصرانية ومجوسية ووثنية وحروب ونزاعات، وتبقى الأمور في جملتها على وجه التقريب لا غير.¹²

ويُعدّ بلاشير أكثر المستشرقين الفرنسيين تأثراً بمقاربة نولدكه، لأنّ هذا التقسيم يسهم في فهم النصّ القرآني وإفهامه وقراءته قراءة سهلة وممتعة، أمّا إدوارد مونتيه فإنّه يختلف عنهما في الطرح ويرى أنّ السور تفتقر إلى وحدة وترتيب ويشبّنها بكتلة مراحل متنوعة.¹³

والواقع أنّ هذا الاختلاف قائم في تضاعيف الدراسات التراثية التقليدية وفي المرويات القديمة، فإذا ذهب بدر الدين الزركشي إلى أنّ مبحث المكي والمدني موصول بالنبي وصحابته¹⁴، فإنّ أبا إسحاق الشاطبي يرى "هو ترتيب بالوحي لا مدخل فيه لأراء الرجال"¹⁵ وهو الرأي ذاته الذي ذهب إليه السيوطي.¹⁶ والذي يمكن أن نستخلصه أنّه رغم الجهود المضنية التي بذلها الأوائل والمتأخرون، فإنهم لم ينجحوا في تقديم ترتيب موحد، وفي تحديد ما هو المكي وما هو المدني، وهي من المباحث التي لم تحظ بالإجماع والقبول إلى اليوم وفق قول جان جرومان (Jean Grosjean).¹⁷

وتبقى الأسئلة عالقة بهذا المبحث، هل المكي ما نزل بمكة أو ما كان قبل الهجرة؟ وهل المدني ما نزل بالمدينة أو ما كان بعد الهجرة؟ أو أنّ المكي ما كان خطابه لأهل مكة؟ والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة؟ ولعلّ هذه الأسئلة وغيرها هي التي جعلت بعض المستشرقين ومن بينهم أندري دي ريبير يقع في هذا اللبس، فيجعل المكي مدنيا والمدني مكيا، وأخطأ في عدّ السور وأسمائها وفيما اتصل بترتيب الآي وعددها، وهي من الأمور التي جعلناها موصولة بسؤال المنهج، وسنحاول لاحقاً أن نتناول بعض المسائل المتعلقة بالمتن.

II- سؤال المتن:

1- قراءة في العتبات والمطالع

قراءة العتبات مهمة جداً لأنها تخول للقارئ أن يستنبط عديد المضامين والأفكار، والعتبة هي المدخل والأفق والتمهيد الذي يجعلنا نحمل ما يمكن أن نحمله من أفكار ونحن مازلنا في بوابة النصّ، ومن جملة ما رمنا أن نقف عليه في دراسة ترجمة أندري دي ريبير: العنوان/البسملة/الحروف المقطعة.

أ-العنوان:

وظّف أندري دي ريبير عنواناً لترجمته تمثل في مصطلح (L'alcoran) هكذا معرّفة بالفرنسية، بينما وسم بلاشير ترجمته بعنوان (Le coran) وبين قوسين (Al-Qor'ân)، واكتفى إدوارد مونتيه في ترجمته بكلمة (Le coran) وكذا الأمر بالنسبة إلى جاك بيرك.

ورغم أنّ المفهوم واضح باعتبار أنّ الكلمة مستعارة من العربية "القرآن" (Al-Quran) وهي مشتقة من فعل قرأ (Qara'a) بيد أنّه رغم هذا الوضوح، ورغم أنّ البعض من المستشرقين بحث في ذلك، بل البعض منهم يعرف هذا المبحث، فأندري مثلاً نعت سورة "الفرقان" بـ (Le chapitre de l'alcoran) ¹⁸ مما يدلّ على أنّ الرجل يعرف أنّ الفرقان هو اسم من أسماء القرآن، ورغم ذلك فإنّ التغييرات لحقت هذه الكلمة وبلاغتها فكانت (L'alcoran) و(Coran) و(Koran) و(Alchoran) وكلّ هذا في الحقيقة يدخل اضطراباً وتبايناً، ومن الأفضل أن يكون عنواننا موحداً على غرار (Le coran) أو (Al-Qur'an).

ب-البسملة:

ثبّت أندري دي ريبير في عتبة كلّ سورة البسملة على النحو التالي:

« Au nom de dieu clément et miséricordieux ».

أمّا بلاشير فيعتمد التعبير التالي:

« Au nom d'Allah, le bienfaiteur miséricordieux ».

في حين يجانب إدوارد مونتيه هاتين الصيغتين ويذهب إلى صيغة ثالثة تتمثل في:

« Au nom d'Allah très miséricordieux et compatissant ».

ويرى جاك بيرك أنّ البسملة من الأفضل أن تكون صياغتها على النحو التالي:

« Au nom de Dieu, Le tout miséricorde, Le miséricordieux ».

وهكذا نفهم لئن ذهب كلّ واحد وفق فهمه في ترجمة البسملة، فإنّ نقاط الالتلاف قائمة والاتفاق حاصل حول عديد المضامين من هذه الترجمة على غرار (Le miséricordieux) وكلمة (Dieu) ومرة أخرى (Allah)، ونعتقد أنّ الاختلاف منبته هو "الرحمان الرحيم" هذا اللبس الحاصل بين من يقوم بالفعل "الرحمان" (Miséricordeur) وهذا لا ينطبق إلا على الله وحده، وبين صفة القائم بالفعل وحده من ناحية أخرى، ثم هذه الصفة أو هذا النعت موصول بمن يستحق هذه الرحمة (Miséricordieux)، وهذا اللبس اللغوي بين فاعل الرحمة وصفته ومن يستحق رحمة الله جعل الترجمات تختلف إلى حدّ التباين .

ج-الحروف المقطعة:

تسع وعشرون سورة افتتحت بالحروف المقطعة التي تتراوح في صيغها بين "الم" و"المص" و"الر" و"المر" و"كهيص" و"طه" و"طسم" و"ن" و"ق" و"عسق" و"حم" و"ص" و"يس" و"طس". وبالرجوع إلى

كُتِبَ ترجمة القرآن فإننا نرصد أنّ كلّ واحد نهج نهجا في التعامل مع هذه الحروف، فأندري عالج هذا الأمر مرة بتغافله نهائيا وأخرى يكتب على سبيل المثال (lure) أو نحو ذلك من الحروف التي لا تطابق ما جاء في النصّ الأصلي.

وفي تقديرنا أنّ ما ورد في فواتح السور من كلمات وحروف مقطعة، كان بالإمكان أن يُكتب بالحروف اللاتينية تفاديا لكلّ تحريف وتأويل، على نحو ما توخاه إدوارد مونتييه في ترجمته مثل "الر" (Alif Lām Rā) في سورة يوسف¹⁹ و"الم" (Alif-Lām-Mīm) و"ص" (Sād) و"ق" (Kāf)، إلى غير ذلك من الحروف والكلمات التي أدرجت في النصّ المؤسس، ولا نعتقد أنها كانت على تلك الشاكلة من باب العبث أو الصدفة أو من نافلة القول، بل هي مظهر من مظاهر الإعجاز والأسرار القرآنية فقد اعتبرها الإمام علي صفوة القرآن، وقال الشعبي: هي سرّ القرآن،²⁰ وذهب الباقلاني إلى أنّ كثيرا من هذه السور أي التي تبدأ بالحروف المقطعة إذا "تأملته (القرآن) فهو من أوله إلى آخره مبني على لزوم حجة القرآن والتنبيه على وجه معجزته"²¹، وقال ابن عباس: "هي أقسام، قيل أقسم الله تعالى بهذه الحروف لشرفها وفضلها لأنها مباني كتبه المنزل، وأسمائه الحسنى وصفاته العليا"²².

وبناء على ذلك نرى أنّ كلّ المحاولات في جعل هذه الكلمات أو الحروف الواردة في عتبة السور في سياق ترجمته على غرار (Alr) و(Alm) و(Khyac) ونحو ذلك، لا يستقيم وهو ما وقع فيه أندري دي ريبير وغيره من المترجمين مثل جاك بيرك وبلاشير ونحوهم.

2-قراءة في المفاهيم:

يمكن أن نتبع بعض المفاهيم التي تعددت كثيرا إلى درجة التواتر في النصّ القرآني، فكيف ترجمها أندري دي ريبير؟ وهل ما انتقاه الكاتب أو المترجم من ملفوظات هي عينها التي أراد أن يبلغها النصّ القرآني المؤسس؟ وهل اللغة القابلة هي لغة قادرة أن تستوعب ما تبدى من معان ظاهرة وضامرة خاصة وعامة وردت طيّ النصّ القرآني؟

بناء على هذه الأسئلة المربكة، وبناء على ما وقفنا عليه من صعوبة في متن النصّ المترجم من العربية إلى الفرنسية، ووفقا لخصوصيات المفهوم وما يتصل به من إشكالات مقولية ولغوية وسياقية ومقامية، نستخلص أنّ اللغة المترجم إليها أو المتلقية لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن تكون وفيّة للنصّ المؤسس، نظرا إلى عسر استيعاب نحوها وصرفها وبلاغتها وإيقاعها وإعجازها وصورها وحركة تطورها للمفاهيم في مظانها، وهو ما تبدى في ترجمة بعض والمصطلحات التي أدرجها أندري في مقارنته،

لذا وجب أن ننبه إلى بعض هذه المفاهيم والمصطلحات المخصوصة التي تحيل على خصوصية اللسان العربي وتفاصيل البيئة مهد القرآن ومهبط الوحي، ومثل هذه المفاهيم تفرض على المترجم أن يقع في حيرة من أمره إلى حدّ الارتباك، وهو ما انعكس على طبيعة ترجمة هذه المفاهيم على نحو ما وقفنا عليه في هذه النماذج التي هي على سبيل الذكر لا الحصر، فمثلا في ترجمته قوله تعالى في سورة الصف "تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ" ²³ يقول: « Que vous souhaitez savoir la victoire » ²⁴ ويقول في سورة النصر "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ" ²⁵ « Qu'il leur donne la victoire » ²⁶ لكنّه يقع في تناقض فيسّمها بـ (Chapitre de la protection) ²⁷.

ومن المعلوم أن النصر في الفرنسية (La victoire) وهي كلمة واضحة ومتفق عليها وقد وردت في القرآن أحد عشر مرة، لكن المترجم يختار هذا التذييب في ترجمة المصطلح. وفي ترجمة قوله تعالى: "رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ" ²⁸ « Du prophète de Dieu » ²⁹ وترجمته "قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ" ³⁰ « Dis leur obéissez à Dieu et au prophète » ³¹ ترجم كلمة الرسول بـ (Prophète)، والأمر ذاته بالنسبة إلى مفهوم النبي إذ ترجم قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ" ³² « O prophète » ³³ وفي سورة الشمس ترجم "رسول الله" في قوله تعالى: "فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ" ³⁴ بـ « Prophète de Dieu leur dit » ³⁵ والأمر ذاته في سورة الحجرات إذ ترجم الآية الأولى "لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ" ³⁶ بـ « Ne préférez pas ce que vous faites à ce que Dieu et son prophète » ³⁷. ومن المعلوم لغة ومعنى أن البون بائن بين مفهوم النبي والرسول، فالرسول هو (Le messenger) والرسالة (Message)، بينما النبي هو (Le prophète) وهذا الخلط بين المعنيين يوقع في سوء الفهم والتأويل.

إنّ هذه الأخطاء التي ترتبط بمفاهيم لها خصوصياتها وسياقاتها وبنيتها في الحضارة العربية والإسلامية، وبصورة خاصة في سياقات النصّ القرآني، هي لِيّ للنصّ وتحمله ما لا يتحمّل إلى حدّ التعسّف فيه، فكلّمة الأمّي وهي صفة لنبي الإسلام تردّ مرتين في القرآن، الآية الأولى "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ" ³⁸، والآية الثانية "النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ" ³⁹، وقد ترجم أندري الأولى بـ « Qui croient au prophète qui ne sait ny lire ny écrire » ⁴⁰، وترجم الثانية بـ « Son prophète, qui ne sait ny lire ny écrire, ceux qui croirant en Dieu en ses paroles » ⁴¹.

إنّ التعبير عن الأميّ بـ (Qui ne sait ny lire ny écrire) هي ترجمة طويلة ولا تستقيم، بل لا تنسجم مع روح النصّ القرآني، ثم ليس بالضرورة أنّ من لا يحسن القراءة والكتابة هو أمي، ولعلّ اللفظ الموجز في اللغة الفرنسية موجود وأفضل تعبير على ذلك (Inculte) أي غير المتعلم .

أمّا لفظة الطلاق فترجمها بما معناه (Répudiation) وهو ما يحيل على تغييب المعنى الدقيق للكلمة في اللغة الفرنسية (Divorce)، لأنّ (Répudier) رفض وأطرد وهو ما يحيل على التعسّف في مفهوم الطلاق، رغم أنّ الرجل يصف اسم السورة بـ (Le chapitre du divorce)⁴² لكن عندما يترجم "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ"⁴³ يترجمها بـ « O prophète, lorsque répudierez vos femmes »⁴⁴ .

ومثل هذا الخلط نقف عليه كثيراً في اللبس الحاصل في ترجمة أندري دي ريبير للعديد من المفاهيم والمصطلحات على غرار الإنس والجن والملائكة، ففي سورة الأعراف مثلاً يترجم قوله تعالى: "كَثِيرًا مِّنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنسِ"⁴⁵ بقوله « Les diables et les hommes »⁴⁶ بينما يترجمها بلاشير بقوله « Beaucoup de Djinns et de mortels »⁴⁷، أمّا جاك بيرك فيترجمها بـ « Des djinns et des humains »⁴⁸، ويترجم دي ريبير قوله تعالى: "قُلْ لِّئِنْ جُمِعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنَّ"⁴⁹ « Dis-leur, Si les démons et les hommes »⁵⁰

في حين يترجمها بلاشير بقوله « Si les humains et les Djinn »⁵¹ أمّا بيرك فيترجمها بقوله « Si les hommes et les génies »⁵² . ويذهب أندري دي ريبير إلى ترجمة "إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ"⁵³ « Le diable qui était un nombre des anges »⁵⁴ والآية ذاتها يترجمها بلاشير بقوله « Sauf Iblis qui était l'un des Djinn »⁵⁵ أما جاك بيرك فيترجمها بقوله « à l'exception d'Iblis c'était l'un des Djinn »⁵⁶

والذي نستخلصه أن الخلط حاصل بين الإنس (Humain) والجن (Djinn) والملائكة (Ange) وإبليس (Diable) والشيطان (Satan)، لذا نعتقد وفق ما ورد من ترجمات أن دي ريبير يخلط بين هذه المفاهيم فالجنّ يترجمها مرة بـ (Diables)⁵⁷ وأخرى بـ (Anges)⁵⁸ وتارة بـ (Démons)⁵⁹ . أمّا الإنس فيترجمها بـ (Les hommes)⁶⁰ بينما يترجمها بلاشير بـ (Mortels)⁶¹ ويترجمها جاك بيرك بـ (Humains)⁶²، وقس على ذلك عديد المفاهيم والألفاظ التي تحيل مثلاً على يوم القيامة وهي كثيرة في القرآن مثل الواقعة والطامة والحشر والغاشية والحاقة ونحوها كثير، وكل لفظ منها له دلالاته وأبعاده وسياقاته ومواصفاته الموصولة بهذا الحدث الأخروي، وبذلك يعسر على المترجم أن ينقل المعنى المراد من الشارح مهما كان قادراً على ذلك. والذي نستخلصه أنّ هذا الأسلوب في الترجمة يجعل هذه

المفاهيم تتحول إلى مصطلحات ضيقة المجال ولا تعبر عن مقصد الشارع وسياق النص إلى حدّ اضطراب الدلالة العربية وتغيّرها بسبب طبيعتها اللغوية والثقافية، مما يزيد من الاختلاف حولها .

3- إشكالية الحذف والزيادة:

لا يمكن أن نأتي على تتبع ترجمة كلّ المصحف، فهذا مبحث لا ندعي أننا قادرون عليه، ولكن يمكن أن نقف على بعض النماذج من هذه الترجمات التي تشكو خلافا قد يرقى إلى حدّ التحريف للنصّ المؤسس، هذا الخلل قد يكون زيادة مثلا أو حذف أو تغيير الكلم من مواطنه، أو ترجمة لا تندجم إطلاقا مع روح النصّ الأصلي، وقد حاولنا أن نتناول سورة الفاتحة وبعض السور القصار لأنها هي التي يحفظها جمهور المسلمين وتقرأ غالبا في الصلوات، وهي كذلك التي يشرع بها من يدخل في الإسلام نظرا إلى قصرها ويسر حفظها وفهمها، وسنقيم مقارنة بين النصّ المؤسس وترجمة أندري دي ريبير والمقترح الذي نراه أنسب وفق اجتهادنا وتقديرنا المتواضع من خلال هذه الأمثلة :

أ-سورة الفاتحة: (Chapitre de la préface)⁶³

-Au nom de Dieu, Clément et miséricordieux

-Louange fait à Dieu

-Clément et miséricordieux

-Roy du jour du jugement

C'est à toy que nous demandons secours، -C'est toy que nous adorons

-Conduits nous au droit chemin

-Au chemin de ceux que tu as gratifiés, contre lesquels tu n'as pas été courroucé, et nous ne serons pas dévoyez.

النصّ في أصله ورد غير مقسّم، بل هو متداخل الجمل والمضامين، يضاف إلى ذلك يشتمل على الكثير من الأخطاء مثل (Toy) و(Roy) وردت على هذا الشكل عوضا عن (Toi) و(Roi) وغير ذلك من الأخطاء التي حاولنا أن نصوّب بعضها وأن نرتب السور بغية توضيح المعطى، يضاف إلى ذلك العديد من مواطن الحذف والإسقاطات في النصّ ف "العالمين" ترجمها ب (Foi) عوضا عن (Univers) أو (Mondes) و"نستعين" ترجمها ب (Secours) والأقرب (L'aide) و"الضالين" ب (Dévoyez) ونعتقد أن الأسلم (égarés) ونقترح الترجمة التالية:

-Au nom de Dieu, le clément le miséricordieux
-Louange à Dieu, seigneur des univers
-Clément et miséricordieux
-Le roi du jour du jugement
-c'est toi que nous adorons, c'est à toi que nous demandons l'aide
-Conduits nous sur la vois de rectitude
-La vois de ceux que tu as gratifiés contre lesquels tu n'as pas été courroucé, et nous ne
serons pas égarés.

ب-سورة العصر : (Le chapitre de vespre) ⁶⁴

-Le iule par l'heure de vespre
-que les hommes sont en clins à leur perte
-excepté ceux qui croyant en Dieu, qui font de bonnes œuvres, et qui ont en
recommandation la vérité et la perseur crance.

إنّ الناظر في هذه الترجمة يقف على عديد الهنات والأخطاء على غرار ما ورد من إضافات في الآية الأولى، ثم ذكر (Les hommes) في الآية الثانية وهو تحريف لأن النصّ الأصلي لا يحيل على صيغة الجمع، أما التركيب في الآية الثالثة الذي يدلّ على الاستثناء (Excepté) فإنّ النصّ المؤسس يحيل على الحصر (Sauf) وقس على ذلك عديد الأخطاء الأخرى ونقترح الترجمة التالية:

-Par le temps
-L'homme et en perdition
-Sauf ceux qui croient en bien, qui font de bonnes œuvres et qui ont en recommandation
la vérité et la constance.

ج-سورة الكوثر : (Le chapitre de l'affluence) ⁶⁵

-Nous t'avons donné une grande affluence de nos graces
-Prie ton seigneur et lève tes mains
-celuy qui te haïra fera mal-heureux

لم نفهم في الحقيقة ترجمة المترجم في الجزء الثاني من الآية الأولى المتمثل في قوله « Une grande affluence de nos graces » ونعتبره إضافة لا قيمة لها، والأمر ذاته في الآية الثانية في قوله « et leve tes mains » ونقترح الترجمة التالية:

-Nous t'avons donné « le Kawtar »/L'abondance

-Ne prie que ton seigneur, ne sacrifie qu'à lui

-celui qui te haïra fera malheureux

د-سورة الإخلاص: (Le chapitre du salut) ⁶⁶

-Dis aux infidèles

-Dieux est eternal

-il n'engendre pas, il n'est pas enendré

-et n'a point de compagnon

الملاحظ أن النصّ حمله المترجم ما لم يتحمّل، إذ أضاف إليه الكثير من الملفوظات على نحو (Infidèles) و (Eternal) و (Compagnon) وبناء على ذلك نرى أن النصّ يكون على الصورة التالية:

-Dis : il est Allah unique

-Allah le seul

-Il n'engendre pas, il n'est pas engendré

-n'est égal à lui personne

ما قدمناه من نصوص بديلة هي مجرد محاولات استأنسنا فيها بترجمة بلاشير وجاك بيرك، ولا نزعم أننا نقدّم بديلاً يُسلم به ولا يناقش، رغم ما وقفنا عليه في ترجمة أندري دي ريبير من أخطاء لغوية وتركيبية وأسلوبية وإسقاط كلمات أو عبارات أو جمل كاملة لم تترجم أساساً، وهذا الإسقاط أو السقوط يؤثر تأثيراً مباشراً في المعنى المراد من الشارح .

III- سؤال النقد/في تقييم الكتاب:

لقيت ترجمة أندري دي ريبير رواجاً عظيماً، وعن ترجمته الفرنسية هذه، تُرجم القرآن إلى الانجليزية والهولندية، وعن الهولندية تُرجم إلى الألمانية، ولئن كُتب هذا السبق التاريخي للمترجم دي ريبير فكان عمله أول ترجمة للقرآن، لكن في ترجمته هذه كثيراً من المواضع الغامضة والتحريف، مما يدل على أنها

لم تخل من عديد المزالق والنقائص على غرار خلوها من فهرسة مفصلة للصور والآيات، يضاف إلى ذلك التداخل بين الآيات إلى حدّ صعوبة الفصل بين الآية والأخرى.

على أيّ حال، هذه الإشكالية تحيل على أنّ الكتاب يشتمل على حشد من المضامين الخاطئة والإضافات الهامشية التي تُسيء أكثر مما تُفيد، ولعلّ ذلك يعود في تقديرنا إلى أنّ أندري لم يتسن له أن يتخلص من أدواته ومناهجه ومرجعياته وخلفياته وإيديولوجيته ولغته وملامح حضارته الغربية، حتى لو زعم الموضوعية والالتزام بالصرامة العلمية والمنهجية البحثية الأكاديمية، زد على ذلك أنّ اللغة الفرنسية التي توسّل بها في ترجمته هي الفرنسية القديمة التي تلاشى منها اليوم الكثير من المفردات والمعجم والتراكيب، ناهيك أنّ هذه الترجمة كُتبت قبل أربعة قرون تقريبا. والناظر في عمل أندري يلحظ أنّ ترجمته لا يمكن أن ترقى إلى مستوى النصّ القرآني الأصلي، سواء كانت هذه الترجمة أو غيرها، نظرا إلى الأخطاء المتواترة مثل الحذف، والإضافة، والتصرف بحرية في عديد المواضع، و الحواشي التي لا تخلو من شروح وإضافات وأحيانا مقدّمات، وكأنّ هذه الترجمة موجهة خصيصا إلى جهة معينة، ولا غرو في ذلك لأنّ الكاتب أشار في عديد المرات خاصة في مقدّمة ترجمته إلى أنها موجهة إلى الإمبراطورية العثمانية وبالتحديد إلى الأتراك، هذا كلّه يدل على أنّ هذه الترجمة لا تتماشى مع الأصل، نظرا إلى ما حوته من مختصر لديانة الأتراك وبعض مستنداتهم .

إنّ مكمن المشكلة يكمن وفق فهمنا في العجز عن تذوق المضمون الروحي للقرآن وأبعاده ومقاصده، نظرا إلى ما يتميز به من موسيقى خاصة ونغمة متميزة ووقع خاص، مع أسلوب مفارق لا هو بالنثر ولا هو بالشعر نقف عليه في مطاوي النصّ القرآني ومطالعه وإعجازه ولغته ومقاطعه وفواصله، وهذا يُفضي إلى ما وقع فيه أندري دي ريبير وغيره من المترجمين والمستشرقين من تقصير وتحريف، كلّ هذا أنتج نصّا مترجما لم يبلغ الدرجة العلمية المرموقة الموثوق بها أكاديميا .

على سبيل الخاتمة:

رصدنا من خلال النصّ المترجم للمستشرق الفرنسي أندري دي ريبير بدءا من المنهج والبنية والعتبة إلى المتن والمضامين عديد الأخطاء والإخلالات التي تستدعي التصحيح والتصويب، ونحن واعون تمام الوعي بهذا الجانب الذي يفيد بأنّه يعسر علينا أن نجد ترجمة مثالية خالية من النقائص والسلبيات. واستخلصنا كذلك أنّ فعل الترجمة هو عمل عويص وصعب للغاية مهما أوتي أي مترجم من براعة وبلاغة وسعة إطلاع، فلا يمكن أن يأتي على جوانب التركيب في النصّ القرآني من حذف وإيجاز وتقديم

وتأخير وتمثل لخصوصيات الجملة الاسمية والفعلية والتراكيب الإسنادية والتشبيه والقسم وأقسام الاسم والفعل ومعاني الحروف مثل حروف العطف والجر والتوكيد. أما السياقات الزمنية من ماض وحاضر ومستقبل، وعلاقة ذلك بالمفاعيل مثل اسم الفاعل واسم المفعول والمصادر والبديع على وجه الخصوص، فإنها من الأمور المحالة نظرا إلى عدم قدرة المترجم على تمثيل الجناس والطباق والتورية، وقس على ذلك عديد المباحث والمسائل التي يعجز أندري دي رير أن يلم بها، وهذا ما يفيد أنه كان عاجزا عن أن يكون وفيا للنص المؤسس، وبذلك يفقد النص الأصلي جانبا من أكبر جوانبه وأهمها على الإطلاق وهو مكن إعجازه.

يظل الحديث عن كتاب أندري دي رير منفتحا على عديد القضايا والأطروحات والمقاربات الموصولة بالمنهج واللغة والمعجم والأسلوب والبنية والمتن والمقصد، ونحسب أننا بما عرضناه من أفكار كانت غايته التنبيه إلى مواطن القصور والنقص من دون انحياز أو منافحة أو تشدد، ديدنا في هذا المبحث التوصيف والتحليل والنقد العلمي الموضوعي لا غير. ويبقى من الأسئلة المنفتحة على البحث : إلى أي مدى تُحقق الترجمة الفهم المقاصدي للنص المؤسس؟ هل هذه المشاريع الموصولة بالترجمة والتي من بينها مقارنة أندري دي رير نفي بالغرض العلمي والديني والحضاري لإفهام الرأي العام الأوروبي وإقناعه بقيمة النص القرآني؟.

الهوامش:

¹-André Du Ryer, L'alcoran de Mahomet, Translaté de l'arabe en français, Antoine de Soma ville, Paris, 1652.

مستشرق ودبلوماسي فرنسي ولد في مارسيني (Marcigny) (1660-1580م) كان قنصلا عاما لفرنسا في مصر ، ألقن العربية والتركية والفارسية، من أعماله: مبادئ نحو اللغة التركية، وترجمة القرآن: L'alcoran de Mahomet.

² - Afnan Fatani, Translation and the Quran, in Oliver Lealman, The Quran : an encyclopedia, Rutledge, 2006, P: 657.

وانظر كذلك:

بدوي (عبد الرحمان) موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1993، ص.ص327 و443.

³-Sieur du Ryer, L'alcoran de Mahomet, Paris, 1647-1649-1651-1673, La Haye, 1683-1685-1719-1723-1883-1885, Amsterdam, Révisé et corrigé, 1734-1756-1770-1775, Amsterdam et Leip-zig, 1770-1775, Anvers, 1716, Genève, 1751.

إنّ هذه الطباعات تحيل على أسبقية الترجمة وأهميتها في الوسط الأوروبي.

⁴- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ترجمة جورج تامر وتحقيقه، ط1، مؤسسة كونراد-أدناور، بيروت، لبنان، 2004، ص292 وما بعدها، وانظر كذلك:

Pareja, Félix Maria (en collaboration), Islamologie, imp. Catholique, Beyrouth, 1963, P.P : 600-602.

⁵- ترتيب سور القرآن من الحقول البحثية القديمة التي تناولها القدامى، ووقع فيها خلاف بين العلماء المسلمين فيما يخص ترتيب القرآن وترتيب النزول، وهل أنّ الأمر توقيفي أو اجتهادي ؟ انظر على سبيل المثال: الزركشي (بدر الدين محمّد بن عبد الله) البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية مصر، 1957، ج1، ص236 وما بعدها. وانظر كذلك: الشاطبي (إبراهيم بن موسى) الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق محمّد عبد الله دراز، ط2، دار الفكر العربي، السعودية، 1975، ج3، ص414، وكذلك السيوطي (جلال الدين بن أبي بكر) أسرار ترتيب القرآن، دراسة عبد القادر أحمد عطا وتحقيقه، ط2، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، 1978، ص78 إلى 83.

⁶- Régis Blachère, Histoire de la littérature arabe, librairie d'Amérique et d'orient, Paris, 1964, Tome II, P : 19.

- Le Coran « Que sais-je », 2^{ème} éd, Presses universitaire de France, Paris, 1969, P.P : 17-18.

⁷- القرآن الكريم، ط3، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، 1984.

⁸- L'alcoran de Mahomet.

⁹- Édouard Montet, Le coran, éd Payot, Paris, 1925.

¹⁰- Régis Blachère, Le coran, éd G.P, Maisonneuve et Larose, Paris, 1966.

¹¹- Jacques Berque, Le coran, éd Albin Michel, Paris, 1995.

¹²- لمزيد التوسّع انظر: تاريخ القرآن، ص61 وما بعدها.

¹³- Montet, Le coran, P : 47.

« Ces sourats, qui manquent d'unité de composition, et qui sont comme des agglomérates de fragments divers ».

¹⁴- البرهان في علوم القرآن، ج1، ص236.

¹⁵- الموافقات في أصول الشريعة، ج3، ص414.

¹⁶- أسرار ترتيب القرآن، ص78 وما بعدها.

¹⁷- Masson, Le coran, préface Jean Grosjean, éd. Gallimard, Paris, 1967, P : XLII.

« Aucun de ces classements n'a été favorablement accueilli par les docteurs de l'islam ».

¹⁸- L'alcoran de Mahomet, P : 333.

¹⁹- Montet, Le coran, P : 163.

²⁰- الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن) مجمع البيان في تفسير القرآن، ط1، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر

والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005، ج1، ص42.

- ²¹-الباقلائي (أبو بكر محمد بن الطيّب) إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط1، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1954.ص12.
- ²²-نفسه، ص32.
- ²³-الصف، 13/61..
- ²⁴- L'alcoran de Mahomet, P : 583.
- ²⁵-النصر، 1/110.
- ²⁶- L'alcoran de Mahomet, P : 664.
- ²⁷-Ibid., P : 646.
- ²⁸-البيّنة، 2/98.
- ²⁹- L'alcoran de Mahomet, P : 639.
- ³⁰-آل عمران، 32/3.
- ³¹- L'alcoran de Mahomet, P : 51.
- ³²-الطلاق، 1/65.
- ³³- L'alcoran de Mahomet, P : 589.
- ³⁴-الشمس، 13/91.
- ³⁵- L'alcoran de Mahomet, P : 634.
- ³⁶-الحجرات، 1/49.
- ³⁷- L'alcoran de Mahomet, P : 494.
- ³⁸-الأعراف، 157/7.
- ³⁹-الأعراف، 158/7.
- ⁴⁰- L'alcoran de Mahomet, P : 160.
- ⁴¹-Ibid, P : 160.
- ⁴²-Ibid, P : 589.
- ⁴³-الطلاق، 1/65.
- ⁴⁴- L'alcoran de Mahomet, P : 589.
- ⁴⁵-الأعراف، 179/7.
- ⁴⁶- L'alcoran de Mahomet, P : 163.
- ⁴⁷- Blachère, Le coran, P : 198.
- ⁴⁸- Berque, Le coran, P.P : 184-185.

⁴⁹-الإسراء، 88/17.

⁵⁰- L'alcoran de Mahomet, P : 275.

⁵¹- Blachère, Le coran, P : 314.

⁵²- Berque, Le coran, P : 303.

⁵³-الكهف، 50/18.

⁵⁴- L'alcoran de Mahomet, P : 283.

⁵⁵- Blachère, Le coran, P : 323.

⁵⁶- Berque, Le coran, P : 312 .

⁵⁷- L'alcoran de Mahomet, P : 163.

⁵⁸- Ibid, P : 275.

⁵⁹-Ibid, P : 283.

⁶⁰-Ibid, P : 163.

⁶¹- Blachère, Le coran, P : 198 .

⁶²- Berque, Le coran, P : 185.

⁶³- L'alcoran de Mahomet, PP : 1-2.

⁶⁴-Ibid, P : 643.

⁶⁵-Ibid, P : 645.

⁶⁶- Ibid., P : 647.

قائمة المصادر والمراجع :

أ- المصادر

-القرآن الكريم، ط3، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، 1984.

- André Du Ryer, L'alcoran de Mahomet, Translaté de l'arabe en français, Antoine de Soma ville, Paris, 1652.

ب- المراجع

1- المراجع العربية

-الباقلائي (أبو بكر محمد بن الطيّب) إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط1، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1954.

-بدوي (عبد الرحمن) موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1993.

-تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ترجمة جورج تامر وتحقيقه، ط1، مؤسسة كونراد-أدناور، بيروت، لبنان، 2004.

- الزركشي (بدر الدّين محمّد بن عبد الله) البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية مصر، 1957.
- السيوطي (جلال الدّين بن أبي بكر) أسرار ترتيب القرآن، دراسة عبد القادر أحمد عطا وتحقيقه، ط2، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، 1978.
- الشاطبي (إبراهيم بن موسى) الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق محمّد عبد الله دراز، ط2، دار الفكر العربي، السعودية، 1975.
- الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن) مجمع البيان في تفسير القرآن، ط1، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005.

2- المراجع الأجنبية

- Afnan Fatani, Translation and the Quran, in Oliver Lealman, The Quran : an encyclopedia, Rout ledge, 2006.
- Édouard Montet, Le coran, éd Payot, Paris, 1925.
- Jacques Berque, Le coran, éd Albin Michel, Paris, 1995.
- Masson, Le coran, préface Jean Grosjean, éd. Gallimard, Paris, 1967.
- Pareja, Félix Maria (en collaboration), Islamologie, imp. Catholique, Beyrouth, 1963,
- Régis Blachère :
- Histoire de la littérature arabe, librairie d'Amérique et d'orient, Paris, 1964, Tome II.
- Le Coran « Que sais-je », 2^{ème} éd, Presses universitaire de France, Paris, 1969.
- Le coran, éd G.P, Maisonneuve et Larose, Paris, 1966.